ويوسف السباعي ، الضابط السابق في الجيش المصري ومن أغزر الروائيين انتاجا ، يسلط الضوء على عدد من النواحي السلبية في الحرب العربية — الاسرائيلية عام ١٩٤٨ . ان روايته **طريق العودة** (القاهرة ، ١٩٥٨) تدور بمقدار كبير حول حياة بطل رومانسي يقرر الالتحاق بالجيش في الجبهة، ليس بدافع الوطنية بل تحدوه رغبة شخصية في الهروب من فشله بالقاهرة ، وفي الحصول على راتب أفضل . وعلاوة على ذلك ، فالرواية تقدم ادانة للعهد البائد لمسؤوليته عن الهزيمة بسبب فضائح الاسلحة الفاسدة . وتشير شخصية رئيسية في رواية جبرا ابراهيم جبرا — الصادرة بالانجليزية تحت عنوان « صيادون في شارع ضيق » (لندن ، ١٩٦٠) — الى « الكذب والخداع يمنة ويسرى » باعتباره سببا رئيسيا وراء الهزيمة . فيضع المؤلف على لسان هذه الشخصية الروائية الكلام التالي :

« المآثر التي صنعناها في سبيل فلسطين ! كلها تلاشت وانجرفت مع النفايات . الكذب والخداع يمنة ويسرى ، في الداخل والخارج ... صحفنا تجد في فلسطين مصدرا زاخرا بالمواد لملء أعمدتها . يا له من تكرار ممل ، يعوزه الاطلاع ، ويغلب عليه التهور واللفظ الطنان . والناس سئمت ذلك . لكن كيف لنا ان نبرهن لهم عن وطنيتنا ؟ »(٤٩).

ان هذا الاتجاه المتطلع نحو الداخل يصبح أكثر بروزا في أعقاب حرب ١٩٦٧ . فالشاعر السوري نزار قباني ، وهو ديبلوماسي سابق وسيد الشعر الايروسي ، يقدم لنا أقسى ادانة وربما كانت أعنفها للكيفية التي يمارس بها الاسلام ولفساد النظم السياسية وخيانة الادباء لرسالتهم . ومن بين قصائده الاخيرة تطالعنا قصيدة « الاستجواب » وقصيدة « الممثلون » (١٩٦٩)(٥٠) بتعبير عن ضيق ذرعه بكافة أسباب اللامبالاة والجمود والهزيمة . ففي القصيدة الاولى يتم مقتل الامام باعتباره رمزا للقدرية والاستسلام ، ويجري الدفاع عن القاتل من خلال الشهادة التي يدلي بها حول عبثية الركون الى الامام وخداع الاعتماد عليه . ان قاتل الامام يشعر بأنه قتل « كل الطفيليات في حديقة الاسلام» اذ قتل الامام ، وكل الذين يستريحون على ارصفة الاحلام . اما القصيدة الثانية فتعكس خيبة امل الشاعر من جراء الحقيقة القائمة بأنه رغم الهزيمة المدوخة في حزيران ١٩٦٧، فان العقلية نفسها والممثلين اياهم والموقف ذاته — وهي التي ادت الى الهزيمة — ما زالت سائدة . والمقاطع المختارة ادناه تبين لنا ايقاع القصيدة :

حين يصير الحرف في مدينة
حشيشة ..
يمنعها القانون ..
ويصبح التفكير كالبغاء .. واللواط ..
والافيون ..
جريمة يطالها القانون ..
حين يصير الناس في مدينة
ضفادعا مفقوءة العيون
فلا يثورون ولا يشكون ..
ولا يغنون ولا يبكون
ولا يموتون ولا يحيون
تحترق الغابات ، والاطفال ، والازهار
تحترق الثمار ..
ويصبح الانسان في موطنه
أذل من صرصار ...

حرب حزيران انتهت ..